

الكشاف

" لو شاء الله ما تلوته عليكم " يعني أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليهم كتابا فصيحاً يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الأصول والفروع وأخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله وقد بلغ بين طهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء من أسرارهِ وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به " ولا أدراكم به " ولا أعلمكم به على لساني . وقرأ الحسن : ولا أدراكم به على لغة من يقول : أعطاته وأرضاته في معنى أعطيته وأرضيته وتعضده قراءة ابن عباس : ولا أنذرتكم به . ورواه الفراء : أولا إدراكم به بالهمز . وفيه وجهان أحدهما : أن تقلب الألف همزة كما قيل : لبأت بالحج . ورثأت الميت وحلأت السوق وذلك لأن الألف والهمزة من واد واحد . ألا ترى أن الألف إذا مستها الحركة انقلبت همزة . والثاني : أن يكون من درأته إذا دفعته وأدراته إذا جعلته دارئا . والمعنى : ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤوني بالجدال وتكذبوني . وعن ابن كثير : ولأدراكم به بلام الابتداء لإثبات الإدراء ومعناه : لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن علي من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها أهلا دون سائر الناس " فقد لبثتم فيكم عمرا " وقرئ : عمرا بالسكون . يعني : فقد أقيمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فنتهموني باختراعه " أفلا تعقلون " فتعلموا أنه ليس إلا من الله لا من مثلي . وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم : آت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء إليه .

" فمن أظلم ممن أفترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون " .
" ممن أفترى على الله كذبا " يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في قولهم : إنه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفاديا مما أضافوه إليه من الافتراء .
" ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون " .
" ما لا يضرهم ولا ينفعهم " الأوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر . وقيل : إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيرا على الطاعة معاقبا على المعصية . وكان أهل الطوائف يعبدون اللات وأهل مكة العرى ومناة وهبل وإسافا

ونائلة " و " كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحرث : إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى " أتنبئون الله بما لا يعلم " أتخبرونه بكونكم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بالمعلوم الله وإذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لأن الشيء ما يعلم " به " ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه . فإن قلت : كيف أنبأوا الله بذلك ؟ قلت : هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبؤا به باطل غير منطوق تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه . وقرئ : أتنبئون بالتخفيف . وقوله : " في السموات ولا في الأرض " تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم " تشركون " قرئ بالتاء والياء وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم . " وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين "